

في نور محمد فاطمة الزهراء

ترهّف وشفّ كأزّها شعاع. وبصرت بنفسها وبأختيها: زينب وأُم كلثوم، قد التفّفنَ بالمضجع حلقةً، كأزّما ليكنّ وفاءً وفداءً لهذه الراقدة العزيزة فيدراًنَ عنها سطوة المنون[600]، ورأت أباهـا يلزم جوار زوجه الفضلى لزوم وله[601] ومودّة، فيهمهم[602] بين اللحظة واللحظة بكلام لم تكن تدري إبّـانه ـ لانشغالها بكربها العظيم ـ أهـو مسارّة ومناجاة أم هو هينمة[603] ودعاء إلى الله ربّ الموت والحياة. ثلاث ليال وثلاثة أيام مضت ومحمد حينئذ لا يبرح الدار، ثم لا يميل عن ذلك الجوار. فإن تكن الزهراء التقطت خلال تلك الآونة، مرأىً أو صوتاً، من لدن الأُم، فإنّـه القلق الذي يترقرق في عينيها كالدموع، أن أرف[604] أوان رحيلها عن زوجها الحبيب، وهو أشدّ ما يكون حاجة إلى وقوفها معه، تسند ظهره، وتثبت خطاه في وجه أبالسة الشوك، حسب الجحيم. وإنّـه اللهفة التي تغشى محيّاها وهي تنقّل بصرها على وجوه فتياتها الثلاث مراراً مراراً، كأزّما تتفحّصهنّ، وتبحث بينهنّ عن تلك الرابعة، الغائبة عنها من بضع سنين وراء البحر بأرض الحبشة، فيرتدّ إليها بصرها وهو حسير... وإنّـه اضطراب شفّتيها ممّا هو أدنى إلى الأنين، إذ ترتعشان بكلام ما هو بمسموع، ولا له في العالمين سميع، تعبيراً صامتاً عن لوايح[605] بينها عن الأحبة، وانقطاع لقائها بهم إلاّ في علّيين. أو تكن الزهراء التقطت من لدن أبيها، مرأىً أو صوتاً، فإنّـه الدموع على وجنتيه